

تجديد علم الكلام ومجالاته

الدكتور "محمد خير" حسن العمري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

Renewing the science of theology and its fields

**Dr. "Mohamed Khair" Hassan Al-Omari
College of Sharia and Islamic Studies
Qatar University**

المخلص

تجديد علم الكلام أصبح اليوم مطلباً ضرورياً وضرورة ملحة، وذلك بسبب العجز والقصور الذي أصاب علم الكلام التقليدي في معالجة قضايا العصر وإفرازاته، وحتى يؤدي هذا العلم دوره ويتجاوز القيمة التاريخية إلى مواكبة العصر والاجابة على تساؤلاته، فإن شأنه شأن الدين يحتاج الى من يجدد له أمره، ويعيد له قوته وألقه حتى يصبح قادراً على النزول الى ميدان التدافع العقدي والحضاري، فيجيب على الأسئلة الجديدة والمواضيع الحية، بلغة العصر وأدواته، وفق منهجية تتناسب زمانه، وأن يلتفت الى المقاصد العقدية وغاياتها، وعدم المكوث أمام الألفاظ والعكوف في محاريب المتون دون الولوج الى المقاصد والغايات.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، التجديد، مقاصد العقيدة.

Summary

Renewing the science of theology has today become a necessary demand and an urgent necessity, due to the inability and deficiency that has befallen the traditional science of theology in dealing with the issues of the era and its secrets. In order for this science to fulfill its role and go beyond the historical value of keeping pace with the age and answering its questions, like religion, it needs someone to renew its matter. And restores his strength and prestige until he is able to descend into the field of doctrinal and civilizational struggle, and respond to new questions and living topics, in the language of the era and its tools, according to a methodology appropriate to his time, and to pay attention to the doctrinal goals and objectives, and not to remain in front of words and dwell in the niches of texts without entering into them. Aims and objectives.

Keywords: theology, renewal, objectives of faith.

تمهيد

إننا نعيش في مرحلة حرجة من تاريخ امتنا، إذ تعيش أزمة في شتى جوانب حياتها، بما في ذلك جانب الفكر والوعي، وإن إدراك خطورة هذه المرحلة يستلزم بالضرورة مراجعة المعارف والعلوم، وتجاوز ما كان وليد ظروف ما عاد لها وجود، والإبقاء على الصالح المفيد، وأن ننقل من تراث أمتنا الجذوة لا الرماد، وأن نتجاوز ما تجاوزه الزمن. كما يستلزم أيضا إعادة بناء الرؤية المعرفية القائمة على مقومات التصور الإسلامي وخصائصه، وفق منهج سليم منضبط المعالم، يأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن، بحيث تُشكل مناهجنا التربوية والعلمية حصوناً ثقافية وحضارية تحقق الهوية القادرة على النهوض والانبعاث والاسهام الحضاري.

ولا شك أن تجديد العلوم سبب في إصلاح واقع الأمة والنهوض بها، وأن بقائها على حالها يسهم في تقيُّ الضمور في أوصال الأمة، ومن هنا فقد باتت من الضرورة الملحة إعادة انتاج مناهج جديدة في علوم الشريعة عامة وفي علم العقيدة والكلام على وجه الخصوص، بحيث تساير العصر وتجب على شبهاته التي كثرت وتتنوع، وتجاوزت المراكز العقدية الى الأبعاد الأخلاقية.

أهمية البحث:

لقد تحقق في دراسات علم الكلام بحوث ومؤلفات كثيرة، ذات مناهج وأهداف مختلفة، أنجزها باحثون عرب ومستشرقون في كبريات قضايا علم الكلام ومصطلحاته ومدارسه وشخصياته، وسودت فيه صفحات كثيرة، لكن كثيرا من تلك الأفكار التي كانت، والشبهات التي شاعت قد بادت وبأد أصحابها، وإن إعادة اجترار تلك الأفكار وتكرار الردود على تلك الشبهات فيه تجاهل لأعداء أحياء وأفكار فتاكة معاصرة، تؤثر في المثقفين والعوام على حد سواء ومن هنا فقد باتت الحاجة ماسة والضرورة ملحة لإعادة قراءة مدونة علم الكلام القديم ومراجعتها، بغية إبقاء النافع الصالح لزماننا وتطويره وتجديد ما يحتاج الى تجديد، استجابة لحاجات العصر الذي تغيرت اهتماماته، وتجاوزا لما تعد قيمته تاريخية أكثر منها واقعية، تجيب على أسئلة واشكالات الواقع.

أهداف البحث:

تجديد العلوم لتلبي حاجة العصر، وتطويرها لطور جديد من أطوار الحياة، أمر يؤكد عليه كل أرباب العلوم وأساطينها، وما علم الكلام ببدع عن باقي العلوم، فإن رمنا العيش في الواقع، والاستجابة لحاجات العصر الذي تغيرت اهتماماته وكثرت أسئلته وتكاثرت أعداؤه، فلا مناص لنا من القراءة الواعية، بنظرة تجديدية لكثير من قضايا علم الكلام في ظرف تأكدت فيه الحاجة إلى إعادة النظر فيه من حيث المنهج والأسلوب والموضوع، وطريقة البحث والعرض، بحيث يجيب عن الأسئلة المعاصرة، ويرد على الشبهات الشائعة بلسان العصر وأدواته، حتى يعيش هذا العلم واقعه ولا يبقى مستغرقا في التاريخ، وإن التنبيه على هذا الموضوع الهام، ومحاولة السهمة فيه هو ما هدف إليه البحث المتواضع.

إشكالية البحث وأسئلته:

للأمة الإسلامية اليوم أزمت فكرية وعلمية وحضارية في صولاتها مع غيرها التي كانت قبل قرون، ومن الطبيعي أن تتطور علومها وأدواتها لتواكب العصر الذي تعيش، ومن بين تلك العلوم والأدوات علم الكلام الذي يحتاج الى تجديد، ومن هنا فقد جاء هذا البحث ليجيب على مجموعة من الأسئلة هي:

فما المقصود بتجديد علم الكلام؟ وما مدى جدوى وأهمية التجديد؟

وهل التجديد مقتصر على الموضوع، أم يتجاوزه الى غيره من أنواع التجديد؟

وهل هناك حاجة حقيقية لتجديد هذا العلم، أم هو من قبيل الترف العلمي؟

وهل يمكن للعلوم المعاصرة علمية كانت أو انسانية أن تفيدنا في هذا الميدان؟

وهل يمكن لتجديد علم الكلام أن يسهم في الدفاع عن شبهات العصر،

والوقوف أمام مد أعدائه؟

الدراسات السابقة:

1- كتاب "علم الكلام الجديد" للعالم المسلم الهندي شبلي النعماني

يدعو في هذا الكتاب الى تجديد علم الكلام، دون قطيعة معرفية مع علم الكلام

التقليدي، وإنما هو استمرار وتواصل واستئناف وتجديد له، وتجاوز ما لم يعد مفيدا من

مسائل كانت لها ظروفها التاريخية والالتفات الى الواقع المعاش والحاضر المشاهد ودعا الى بناء منظومة كلامية جديدة تستوعب القضايا الأخلاقية والاجتماعية والقانونية والحضارية الجديدة التي تمثل تحديا بالنسبة للمسلمين، ويقول أن الأوربيين يعتبرون الدليل الأقوى على بطلان الدين مسائل أخلاقية واجتماعية أكثر منها عقدية، ومعالجة هذا من اختصاص علم الكلام الجديد، وقد نقل الكتاب الى العربية جلال السعيد الحفناوي، ونشره في القاهرة سنة 2012م

2- كتاب "مقدمة في علم الكلام الجديد" د. عبد الجبار الرفاعي

حاول المؤلف أن يحدد الإطار العام لعلم الكلام الجديد، والمعيار الذي يمكن اعتماده في تصنيف هوية المتكلم والكلام الجديد، وحاول رسم خارطة طريق للمعالم الأساسية لهذا العلم.

وقد جاء الكتاب في أربعة فصول رئيسية، في الفصل الأول لخص الأدوار التاريخية التي مرّ بها علم الكلام

والفصل الثاني جاء تحت عنوان: الكلام الجديد هو الفهم الجديد للوحي، والفصل الثالث تكلم عن الفهم الجديد للوحي لدى مفكري الإسلام في الهند، والفصل الرابع تكلم فيه عن ايقاظ المعنى الروحي والأخلاقي للدين في الكلام الجديد.

وقد صدر الكتاب عن دار الرافدين، بغداد، عام 2023م.

المنهجية: اعتمد هذا البحث على اعتماد منهجين اثنين هما:

المنهج الاستقرائي: حيث قمت بمحاولة استقراء الأفكار وتتبع المعالجات التي

تدعو الى تجديد هذا العلم وتطويره

المنهج التحليلي والاستنباطي: حيث قمت بمحاولة تحليل الأفكار واستنباط

أوجه ومجالات التجديد في علم الكلام

هيكلة البحث: ستعالج هذه الورقة الموضوع في بحثين:

المبحث الأول: تجديد علم الكلام، وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب

المطلب الأول: معنى التجديد لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تجديد علم الكلام وأهميته

المطلب الثالث: بداية الدعوة الى تجديد علم الكلام
المبحث الثاني: مجالات التجديد في علم الكلام
المطلب الأول: التجديد في الموضوع
المطلب الثاني: التجديد في اللغة
المطلب الثالث: التجديد في المنهج
المطلب الرابع: إحياء علم الكلام
المطلب الخامس: إحياء المقاصد العقدية
الخاتمة

المبحث الأول: تجديد علم الكلام

المطلب الأول: معنى التجديد لغة واصطلاحاً:

التجديد في اللغة: صيغة تفعليل من الجديد، وتعني الحث على إحداث الجدة، ومنه الجديدان: الليل والنهار لأنهما يتجددان ولا يبليان، والجديد ما لا عهد لك به وجدد الشيء: صيّرهُ جديداً وأعاده جديداً، ومنه جدد وضوءه، وجدد عهده، يعني أعاده وكرره وأكدّه. والجديد نقض الخلق، فإن الشيء إذا أتت عليه الأيام فأصابه البلى صار قديماً وخلقاً. (1)

وقد ورد في الحديث الشريف: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم". (2)

(3) عرفه العلقمي بقوله: "التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها".

قال الشيخ مصطفى الزرقاء: "التجديد ينحصر في أمرين: إحياء ما درس من معالم الدين وترميم ما توهن من لبناته بسوء الاستعمال وإزاحة ما أقيم في طريق مسيرته البناء للحياة البشرية الصحيحة الكريمة من عوائق. أي إعادة الدين الى رونقه الأصلي.. كما كان (4) جديداً في أوله".

(1) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، القاهرة، 1981 م، 82/4-83.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1978 م، 287/1.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، 454/2.

(2) رواه الطبري عن عمر بن الخطاب، والحاكم عن عمرو بن العاص، انظر: السيوطي، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ص133.

(3) المناوي، عبد الرؤوف. (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٩٩٤، ص357.

(4) الزرقاء، مصطفى. الإسلام وتطور المجتمعات، مجلة كلية الشريعة الجامعة الأردنية، عدد (١)، ١٩٧٢م، ص

" والتجديد على حد تعبير المودودي في حقيقة هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان. (1)
ويقول الامام القرافي: "الجمود على المنقولات ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين". (2)
المطلب الثاني: تجديد علم الكلام وأهميته:

المقصود بتجديد علم الكلام هو تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة، ويحجب عن الأسئلة الجديدة والاشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي. وتجديد المناهج بحيث تتلاءم مع العصر ومستجداته والعلم وافرازاته، في إطار مقاصد الشريعة وثوابت العقيدة.
وبناء عليه، فإن علم الكلام الجديد "ليس نقيضاً لعلم الكلام التقليدي، إذ إن تعبير علم الكلام الجديد لا يعني القطيعة مع الكلام القديم، ولكنه يعني حدوث تغيير في بعض جوانبه كالمناهج، والموضوع، والوظيفة، فكأنما هو ثورة أو حركة إصلاحية من داخل العلم (3) نفسه".

ولا شك أن العكوف على ما شاده السابقون جمود وتحجر، لا يحمي هوية ولا يحفظ تراثاً ولا ينهض بأمة، وفيه تعطيل للعقل وإعاقة لمسيرة الحياة، وإذا كان المجتهد مأجور ومعذور وإن أخطئ فإن المقلد لا عذر له.
إن التجديد لا يعني "ضرورة أفول شيء وحلول شيء آخر محله، وإنما المراد به هنا، التحول التكاملي، حيث يتكامل الشيء ويظهر في (4) صورة جديدة ومهما كان هذا التجديد جوهرياً تبقى بين الأمر السابق والأمر اللاحق مشتركات معينة".

(1) المودودي، أبو الأعلى. موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، مؤسسة الرسالة، 1975م، ص44.

(2) القرافي، أحمد. أنوار البروق في أنواء الفروق المشهور بـ "الفروق"، عالم الكتب، بيروت، 177/1.

(3) انظر: بو خالفة، مصطفى. هوية علم الكلام الجديد بين مقام التعريف والتحقيق، مجلة الاستيعاب، المدرسة

الوطنية العليا للأساتذة - بوزريعة/ الجزائر، العدد: 6 سبتمبر 2020م، ص 219

(4) قراملي، د. أحمد. الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة: حيدر نجف، ط1، دار الهادي، بيروت، 2002م،

فعلم الكلام الجديد هو في جوهره علم الكلام القديم، ولكنه يتطور مع الزمان ويتكامل في مجمل نواحيه المعرفية فكأنه علم آخر، وبعد تجدد كل ما يحيط به على أثر المعطيات العلمية الجديدة من علوم الاجتماع والنفس والمادية والفلسفة النقدية، كان لا بد من إعادة طرحه مع الواقع الجديد، لذلك سمي بعلم الكلام الجديد في إشارة إلى أمرين هما: الاول: أنه في جوهره عين علم الكلام التقليدي القديم، لأن غابتهما نفس الغاية وهي الدفاع عن الدين الاسلامي، والثاني أنه يختلف عن العلم القديم في أنه متجدد في مجمل أبعاده ⁽¹⁾المعرفية.

والمقصود بتجديد وتطوير المناهج تكييفها لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمطلوبات الحياة المتغيرة ويجب عن الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة التي تقترح عالمنا الإسلامي فقد نحتاج الى تجديده وتطويره طورا بعد طور، وقد يأتي زمان لا تحتاج الى علم الكلام فيه أصلا. يقول ابن خلدون: "فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذا الملحة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها الا كلام تنزه البارئ عن ⁽²⁾كثير ايهااماته واطلاقه".

وكلام ابن خلدون هذا يدل على الضرورة الملحة والحاجة الماسة لعلم الكلام في زماننا بسبب كثرة الملحدون ووفرة سهام المغرضين واتساع رقعة المناوئين، ونحن نرى اليوم أن معتنقي كل الأيدولوجيات يكرسون الجهود، ويرصدون الأموال، وينفقون الأوقات، من اجل تطوير منهجيات وأساليب وصيغ لطرح أفكارهم ومذاهبهم حتى تكتسب قوة القدرة على النفاذ إلى القلوب، والاستحواذ على العقول، ويستعينون بالعلوم

(1) انظر: البديوي، د. إبراهيم. علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، ط1، بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009 م، ص: 32.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشداوي، دار القلم، بيروت، ط4، 1981 ص467

الإنسانية المختلفة لترويج سلعهم وأفكارهم وإيحاءهم، وقد نجحوا في تحقيق أهدافهم نجاحاً مكنهم من إحداث غزو ثقافي شديد التأثير على العقول والنفوس. (1)

ومع بداهة هذه الحقيقة وضرورة احداث التغيير في المناهج والتجديد في العلوم، الا أن هناك معوقين يرفضون أي تجديد على ما ورثوه عن العلماء الأقدمين، فما ترك السابق للاحق شيئاً، وما أبقى الأول للآخر أمراً.

ولا شك أن العكوف على ما شاده السابقون جمود وتحجر لا يحمي هوية ولا يحفظ تراثاً ولا ينهض بأمة وفيه تعطيل للعقل وإعاقة لمسيرة الحياة، وإذا كان المجتهد مأجور ومعذور وإن أخطئ فإن المقلد لا عذر له.

وقد شكّا محمد الطاهر بن عاشور من سوء الظنون التي كان يلقاها الداعي إلى إصلاح البرامج وتجديد العلوم وأنه كان يجد طوائف تنسبه إلى سوء المقصد وتتأخره بأن هذا النهج قد أوصل أسلافنا إلى أعلى مرتقى من النجاح وأنه قد أنجب أساطين للعلم طبقت شهرتهم الآفاق، وربما روجوا بهذه المقدمات الخطابية أو السفسطائية قناعة في أنفسهم وإقناعاً للدهماء وكلهم غافلون أو متغافلون عن اختلاف العصور والأجيال ذلك الاختلاف الذي تغيرت به الأساليب. (2)

المطلب الثالث: بداية الدعوة الى تجديد علم الكلام:

إن حركة تجديد علم الكلام لم تصدر من مؤسسة دينية أو مجمع فقهي أو مرجع علمي أو مقال، أو كتاب، وإنما هي مجموعة جهود معرفية وعملية جريئة، ومن رواد هذه الحركة: جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده وبعده محمد رشيد رضا، وشبلي النعماني، ومحمد الطاهر بن عاشور، الذي دعا في كتابه "أليس الصبح بقريب" الى تجديد جميع المناهج والعلوم.

فجمال الدين الأفغاني رد على "الدهريين" الذين ظهروا في زمانه بعد أن كانوا شرذمة قليلين، وكتب محمد عبده "رسالة التوحيد" بطريقة تختلف عن النمط المتعارف

(1) انظر: أبو المجد، أحمد كمال. حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، دار الشروق، 1988م، ص244.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر. أليس الصبح بقريب، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، ط1988، ص115.

عليه من حيث الصياغة والمادة المطروحة التي سيطرت على مدونات علم الكلام القديم، وكتب رشيد رضا كتابه "الوحي المحمدي" لحماية عقيدة المسلمين من الأفكار الجديدة التي تناوشت الجيل، وناقش حسين الجسر الداروينية في كتابه "الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية"، وكتب وحيد الدين خان كتابه "الإسلام يتحدى" وبين في مقدمته الحاجة الماسة والضرورة الملحة للتحرر من منهج علم الكلام القديم، لأن طريقة الكلام يجب أن تتغير بتغير الزمن، وشدد على ضرورة التجديد في مادة علم الكلام واسلوبه، مما يدل على أن الكتابات العقدية قد وسعت دائرة اهتمامها لتشمل تحولات الواقع الجديد.

وأما نشأة مصطلح "علم الكلام الجديد"، فظهر أول مرة كعنوان لكتاب شبلي النعماني إذ كتب كتاباً حمل ذات الاسم. ويظهر أنه هو أول من وضع هذا المصطلح الذي أراد به إعادة بناء علم أصول الدين، ومن أوائل الداعين إلى تجديد علم الكلام بنية الرد على الشبهات الجديدة والدفاع عن حياض الدين.

ويرى شبلي النعماني مع مرور الزمان أن الحاجة إلى التجديد في علم الكلام أصبحت قائمة، لأن علم الكلام التقليدي كان يهتم فقط ببحث العقائد الإسلامية، لأنه في ذلك الوقت كانت الشبهات الذائعة فيه حول العقيدة الإسلامية فقط، ولكن اليوم تغيرت الأوضاع وتطورت العلوم الحديثة واستند العلماء الماديون إلى المادة فقط، وتعددت الشبهات ليس على العقيدة الإسلامية فقط، بل على كل جوانب الشريعة الإسلامية. فالمستشرقون والملحدون يهاجمون الإسلام بناء على بعض الأحكام الشرعية وبأنها الدليل على بطلان الدين، كموضوع الجهاد والأسرى وتعدد الزوجات والطلاق، وغيرها من مسائل الشريعة الإسلامية بكونها مخالفة للحضارة، والتمدن، والتطور والديمقراطية، وغيرها مما لا يتوافق والحضارة الأوروبية. وبناء على هذا بين النعماني المسائل العقدية بأسلوب جديد وضمّ المسائل الجديدة مثل حقوق الإنسان والحضارة والتمدن والإرث وغيرها من المسائل الشرعية الدينية إلى علم الكلام.

وأكد النعماني على أن الحاجة إلى تجديد علم الكلام هو أمر ضروري، لأن الشبهات التي كانت توجه ضد عقيدة الإسلام تغيرت في عصرنا هذا، ففي العصور

الأولى كانت مواجهة الفلسفات اليونانية قائمة على مجرد القياسات المنطقية، ولكن اليوم تغيرت الظروف وأصبحت قائمة على التجربة والعلوم الحديثة، لذا لا يمكن الآن مقابلتهم بالقياسات السابقة التي لا تزيل الشبهات الجديدة. فعلم الكلام التقليدي كان يدور حول بحث العقائد الإسلامية فقط، لأن شبهاتهم في ذلك الوقت كانت تتركز على العقائد، ولكن اليوم تغيرت الأمور وتركزت الشبهات على نواحٍ مختلفة منها الحضارية والتاريخية والقانونية والأخلاقية والدين.

وحاول النعماني أن يبني علم الكلام الجديد حول هذه المسائل، ويرى أن علم الكلام التقليدي القديم القائم على الفلسفات اليونانية لا ينفع كثيرا في هذا العصر، ولم يبق له أهمية أمام الشبهات الجديدة.⁽¹⁾

في الفضاء الفكري المعاصر لم يعد للفلسفة اليونانية القديمة كبير قيمة، واحتلت مكانها في عصرنا الفلسفة المادية والإلحادية التي تزعم أن المادة أساس كل شيء ولا حقيقة سواها. ويتطور الغرب في العلوم الحديثة استندت أفكارهم إلى التجربة العلمية، باتت الحاجة إلى تجديد علم الكلام مقابل التطورات العلمية الحديثة والتيارات الفلسفية الجديدة أمر ضروري.

إن الاختلاف في العقيدة في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وصدر عصر الصحابة لم يكن موجوداً، لذا لم تكن حاجة لعلم الكلام، ولكن فيما بعد ظهرت الأفكار الباطلة المناقضة للعقيدة الإسلامية، لذا نشأ علم الكلام على يد عدد من علماء الإسلام للرد على الأفكار والشبهات الباطلة، وهكذا دَوَّن أهل السنة علم الكلام في قرن الرابع للهجرة أول مرة. ومع مرور الزمن بدأت تدخل الفلسفة الجديدة إلى العالم الإسلامي، لذا أصبحت الحاجة إلى تغييرات في علم الكلام الموجود، فبدأ الدور الثاني لعلم الكلام الذي يتسلح بالكلام الفلسفي، ولا شك أن التيارات الجديدة والفلسفات المادية الحديثة، والثورة العلمية، ومحاولة علمنة العلم بل وتأليهه في بعض الأحيان تستدعي الضرورة الملحة لتجديد علم الكلام لدور وطور جديد.

(1) انظر: النعماني، شبلي. علم الكلام الجديد، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، القاهرة، المركز الوطني للترجمة،

المبحث الثاني: مجالات التجديد في علم الكلام:

تقرر معنا فيما سبق أن علم الكلام القديم لم يعد كافياً للرد على شبهات العصر حول الإسلام، وأنه بات من الضروري على المتصدي للرد عليها أن يتعلم العلوم الحديثة والاشتغال بكثير من العلوم كالتاريخ والجغرافيا وعلم الفلك وبقية العلوم والإفادة من أهل الذكر في تلك الفنون لأخذ المعارف العقلية والعلمية التي تفيد عالم الكلام المعاصر في خطابه حتى يكون أقرب إلى عقول وقلوب الجيل الذي تعرض للشبهات من شتى الاتجاهات، ومن الواجب المحتم تجديد أدوات وأساليب وعلوم المتكلم، وتوسيع دائرة التجديد لتشمل عدة مجالات، ومن أهم تلك المجالات التي ينبغي أن يتوجه إليها التجديد:

المطلب الأول: التجديد في الموضوع:

من المعلوم أننا نعيش في عصر مختلف عن العصر الذي نشأ فيها علم الكلام، كما أن المواضيع والمسائل المطروقة مختلفة عن تلك التي طرحت في السابق، وطبيعة عقول الناس أيضاً مختلفة، والتطورات التي حدثت في كل المجالات كانت هائلة، الأمر الذي جعلنا بحاجة ماسة إلى التجديد في علم الكلام ليساير طبيعة العصر، ويتلاءم مع عقلية الإنسان المعاصر.

صحيح أن ثمة مسائل وقضايا ثابتة لا يقوم الفكر العقدي بدونها، وهي أساسيات العقيدة الإسلامية وأركانها، وهذه ركائز ثابتة على مر العصور، غير أن المنظومة الماثورة في الفكر العقدي اشتملت على عدد من المسائل والقضايا ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية، أفرزتها ظروف واقعية وأن كثيراً من تلك القضايا لم يعد مما يهم العقل المعاصر، ومنها ما يعتبر من رواسب الجدل التاريخي بين الفرق، ومن مخلفات العقل اليوناني، فلم يعد اليوم مبرر لبحثها، فهذه المباحث تصلح موضوعاً للدراسات التاريخية العقدية، فقيمتها تاريخية، وليست قيمة واقعية تسهم في حل المشاكل الراهنة، وكتب الفرق في الغالب الأعم لا تسهم في بلورة قاعدة للاتفاق بل تعمق الفرقة وتكرس الاختلاف، ولا تصلح لتأصيل وتأسيس مسائل الإيمان في العصر الحاضر.

ومما يمكن أن يذكر كمثّل على ذلك: علاقة الصفات بالذات، وهل صفات الله تعالى هي عين ذاته؟ أم هي غير الذات؟ أم هي لا عين ولا غير؟ ومشكلة خلق القرآن وما أثارته من فتن، وما سببته من محن، ومشكلة العلاقة بين الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، وتأويل الصفات الخبرية، والمفاضلة بين الأنبياء والملائكة وغيرها من المواضيع، إذ لا جدوى من إعادة بحثها سوى إعادة شقة الخلاف جذعة كما كانت، الأمر الذي يلهي عن المشاكل الحقيقية التي ترهق العالم الإسلامي.

ومن الخطأ في مناهجنا التعليمية تعليم العقيدة من خلال إعادة نبش آراء الفرق التي لم يعد لها وجود وانقرضت منذ عهود ومضت ومضى زمانها وجف القلم بأقوالها. أما الشبهات يوردها كل يوم ملاحدة العصر وحدثوا زماننا والتي يفتنون بها المثقفين فضلاً عن العوام فغالبيتها المناهج عنها في منأى. فكانت تلك المناهج أشبه ما تكون بجهاد من غير عدو، وقد انجلى نفعها المثار من غير فتح ولا غنيمة.

والمتخرج على تلك المناهج يعيش في القرن الواحد والعشرين بعقلية القرن الحادي عشر، ونبقى أبد الدهر نفك الاشتباك بين الأموات ونعمقه بين الأحياء. لقد اهتم علماءنا بقضايا عصرهم وعالجوها وردوا على شبهات زمانهم ودحضوها، والسير على منهجهم يقتضي أن نهج نهجهم في معالجة قضايا زماننا لا أن نعيد قضايا زمانهم، فمعالجة شبهات العلمانيين مثلاً أولى وأهم وأوجب من نبش شبهات القدرية والمرجئة وغيرهم، فكل عصر ملله ونحله وافكاره وفلسفاته.

وينبغي أن ينفر من العلماء فرقة لدراسة تلك المذاهب والفلسفات والأفكار المعادية للإسلام لبيان عورها وفسادها، وألا يشتغلوا إلا بالشبه الذائعة المنتشرة، وينبغي تعيين الطوائف والشبه التي ينبغي الرد عليها، سنة بعد سنة، وإدخالها في المناهج الدراسية، بدلا من اجترار الردود على الجهمية والقدرية والمعتلة والمشبّهة⁽¹⁾.

(1) انظر: الطنطاوي، علي. فصول إسلامية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط5، 2004، ص151، 152.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "لقد اهتم المتقدمون من علمائنا بقضايا عصرهم التي شغلأتهم، وعالجوها بمنطقةهم ولغة زمانهم، فلماذا لا نهتم نحن بقضايا زمننا، ومشكلات عصرنا؟ ولماذا لا نعالجها بأسلوبنا ولغة حياتنا.

لقد ألف ابن حزم "الفصل في الملل والنحل وألف الشهرستاني كتابه "الملل والنحل" وألف ابن تيمية "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" واليوم ينبغي أن نعرف ديانات العصر الكبرى الكتابية والوضعية.. ونعرف المذاهب الإيدلوجية الكبرى.. والفلسفات المعاصرة (1) وغيرها".

والتجديد يقتضي الاستجابة للحاجات والمستجدات، وتشخيص أمراض العصر، والتركيز على مواطن الخلل، فالعقيدة فكر وفقه حي، يحقق مؤهلات الاضطلاع بوظيفة الاستخلاف، ويؤكد على مركزية الإنسان بالكون، و حياة نابضة تعيش في متن الحياة، وليس قضايا لاهوتية بحتة. (2) إنَّ التجديد في الموضوع يقتضي الاهتمام بالواقع وبالأخلاق والقيم، كما يهتم بموضوع الألوهية والنبوة والمعاد،

إن مهمة المشتغلين بعلم الكلام ينبغي ألا تقتصر على ما تزخر به خزائن العلماء السابقين من موضوعات، فعلم الكلام عند السابقين كان منصبا على بحث العقائد الإسلامية فقط، لأنَّ شبهات الخصوم في تلك الحقبة كانت تختص بالعقائد بشكل أكبر، لكننا اليوم نجد التركيز منصب على الجوانب الحضارية والتاريخية والقانونية والأخلاقية والدينية، وليس حول العقائد فقط، حيث يرى بعض الباحثين الغربيين بأن الدليل الأقوى على بطلان الدين هو مسائل الجهاد والأسرى وتعدد الزوجات وغيرها من مسائل الشريعة الإسلامية، وبناء على هذا فينبغي أن تدور بحوث علم الكلام الآن حول هذا النوع من المسائل، وقد بحث شبلي النعماني في كتابه مسائل جديدة في علم الكلام مثل: حقوق الانسان وحقوق الذميين وحقوق المرأة والإرث

(1) القرضاوي، يوسف. رسالة الأئهر، ص 106

(2) انظر: الرفاعي، عبد الجبار. علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014 ،

ومسائل الحضارة والرقي والعلاقة المتبادلة⁽¹⁾ بين الدين والدنيا في مباحث العقيدة الإسلامية.

وعندما عيّن عبد اللطيف الخربوتي في دار الفنون العثمانية مدرسا لعلم الكلام وحاول أن يجد إجابات على أسئلة وشبهات الملاحدة الجدد لم يجد في مدونة علم الكلام ما يسعفه وقال: "لم أجد ذلك في كتب المتقدمين، من علماء أهل السنة من المتكلمين، وأن كتبهم قد⁽²⁾ ردت ما حدث في عصرهم من بدع وشبهات، ولم يوجد فيها الرد على ما ظهر في هذا العصر من زندقة الحسية"

فقد يكون الكلام حقا في ذاته لكنه يعالج زمانا واحولا انتهت، والمطلوب على وجه الضرورة ممن يتصدى لكتابة المناهج أن يصدّ هذه الفجوة، ويصل الوحي بالواقع الحي حتى يكون البناء العقدي في النفوس أكثر إيجابية وحيوية وتكون شخصيته أكثر استجابة لواقعه لتكون حياته جارية وفق معتقده بصورة إيجابية حية قادرة على محاربة التخلف السلوكي والفكري والحضاري.

والناظر في أحاديث المهدي الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا يرى انها ركزت على العدالة الاجتماعية ومحاربة الجور والظلم لا على قضية الإيمان والكفر.

يقول د. محسن عبد الحميد: "لا بد لنا أن ننشل دراسة أصول الدين من التاريخ، ونوصل الوحي الإلهي بالحياة المعاصرة، حتى تظهر ارتباط الدين القوي، بأوضاع التغيير الاجتماعي، ومناصرة المستضعفين والوقوف أمام الظالمين وصياغة الإنسان المسلم في كيانه صياغة إيمانية حركية معاصرة، حتى يتحول إلى أداة بناء وتعمير في نواحي الحياة كافة".⁽³⁾

(1) انظر: النعماني، شبلي. علم الكلام الجديد، ص 16

(2) انظر: الخربوتي، عبد اللطيف. تنقيح الكلام في عقائد أهل الإسلام، ص 8-9.

(3) عبد الحميد، محسن. العلوم الإسلامية وحياتنا المعاصرة في العقائد الإسلامية والتفسير، ضمن مؤتمر علوم

الشرعية، ص 238

فحقوق الانسان مثلا من المسائل الأساسية في الشريعة الإسلامية، ومن التحديات الحديثة التي تستهدف العقيدة الإسلامية في العصر الحديث وادخالها ضمن اطاره والرد على شبهات المستشرقين في هذا الصدد أكثر أهمية من بعض مواضيع علم الكلام القديم.

ويمكن أن يدخل في علم الكلام التجديد كل القضايا والمواضيع التي تعد شبهات حاول أعداء الإسلام الولوج من خلالها للتشكيك في الدين سواء كانت قضايا عقدية أو تشريعية كمواضيع الرق والأسرى والميراث والحدود وتعدد الزوجات والطلاق والحدود واللباس الشرعي وحقوق المرأة والحريات والجهاد وشمولية الإسلام والعدالة والمساواة وغيرها من المواضيع من حيث نصرتها والاستدلال على أحقيتها لا من حيث جوانبها الفقهية، فهي أشبه ما تكون بفلسفة تشريعية تحمي العقيدة لا توضيح أحكام فقهية جزئية. وقد أدخل علماء الكلام مسألة المسح على الخفين في مباحث أصول الدين لما أنكرها البعض، وجعلها البعض الآخر أصلا من أصول الدين ملاحظين في ذلك⁽¹⁾ جانبها الاعتقادي

قال التفتازاني: "موضوع علم الكلام هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية ... ونحو ذلك مما هو عقيدة إسلامية أو وسيلة⁽²⁾ إليها. المطلب الثاني: التجديد في اللغة:

من الأشياء الضرورية في تجديد علم الكلام أن تقدم الدلائل والبراهين في الرد على الشبهات بأسلوب واضح وسهل تستوعبه الأفهام بسرعة، ويستقر في القلوب بلطف، وهذا لا يتأتى بأسلوب علم الكلام القديم فمقدماته معقدة وشائكة ومتشابكة إذ كانت على حد⁽³⁾ تعبير النعماني "تصيب المخالف بالرهبة لكن لا توقر في قلبه حالة من الوجدان والايمان"

(1) انظر: فودة، سعيد. تأصيل الأدلة الكلامية دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور، ص 25

(2) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر. شرح المقاصد في علم الكلام، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 188/1، د. ت

(3) انظر: الرفاعي، عبد الجبار. علم الكلام الجديد، ص 182

لقد أوضحت مباحث علم التوحيد والعقائد في كثير من الأوساط العلمية أكثر صعوبةً وتعقيداً من مقررات الكيمياء والفيزياء والرياضيات، فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش، ثم أجوبة واعتراضات ثم أجوبة تلك الاعتراضات، واعتراضات لتلك الأجوبة، وأجوبتها، وهكذا دواليك، يقول الشيخ محمد الغزالي: "من الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة تتصيد فيها النصوص وينشد فيها الغلب، ويلعب فيها بالألفاظ..." (1).

ولا شك أن السهولة واليسر والوضوح من خصائص العقيدة الإسلامية، وإنما التعقيد جاء من المناهج المقررة والكتب المختارة لما تتصف به من العبارة الجافة والطريقة الوعرة مع ضعف البرهان وإتاعب الأذهان في بعض الأحيان، حتى قيل: ثلاثة لا تُعقل: طفرة النظام، وكسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم، وإلى ما في ذلك من مخالفة لأسلوب القرآن.

وقد حولت مقررات علم التوحيد إلى قضايا ذهنية تجريدية بحتة، من الصعب ادراكها إلا بعد التعمق في مقدمات فلسفية. فمثلاً دليل الحدوث يعتمد على التجريد الفلسفي في قضايا الجوهر والعرض لإثبات حدوث الكون لا يورث اليقين، بل هو بنفسه دليل محير حتى أن ابن رشد عدّه شغباً خطابياً ليس إلا.

وحولت تلك المقررات التوحيد القرآني الفطري إلى عمليات وقضايا منطقية مركبة وأحاجي عقلية في غاية التعقيد. (2)

لأنها في الواقع الأعم على حد تعبير ابن تيمية: "كثيرة المقدمات ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول في الغالب.. خفية لا يدركها الا الالذكياء". (3)

(1) الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، دمشق، دار القلم، ط12، 2012م، ص6. وانظر: القرضاوي، يوسف، رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، مصر، مكتبة وهبة، ط1، 1984، ص13-14.

(2) انظر: عبد الحميد، محسن. العلوم الإسلامية وحياتنا المعاصرة: العقائد الإسلامية والتفسير، بحث ضمن مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ص233-235.

(3) ابن تيمية، احمد. مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابن محمد 22/2

ولنضرب مثلاً على موضوع الوحدانية من خلال عرض كتب التوحيد التي تدرس في جامعاتنا، أغلب كتب التوحيد المقررة تتكلم عن التوحيد من خلال ما سُمي بالكموم الخمسة وذلك كالآتي:

التوحيد معناه عدم التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال، والوحدانية في الذات تنفي الكم المتصل "تركيب الذات من أجزاء" وتنفي الكم المنفصل "تعدد الذوات" والوحدانية في الصفات تنفي الكم المتصل "تعدد صفتين من جنس واحد" وتنفي الكم المنفصل "وجود صفة كصفته" والوحدانية في الأفعال وتنفي الكم المنفصل فقط. (1)

أين هذا من أسلوب القرآن الذي يزكو بالنفس ويُقنع العقل ويُمتع العاطفة ويُشبع الروح في نفس الآن.

يقول الرازي: "إن الدلائل التي ذكرها المتكلمون وإن كانت قوية كاملة، إلا أن هذه الطريقة المذكورة في القرآن، أقرب إلى الحق- والصواب، ذلك لأن تلك الدلائل دقيقة، وبسبب ما فيها من الدقة انفتحت أبواب الشبهات، وكثرت التساؤلات، وأما الطريق الوارد في القرآن فحاصله راجع إلى طريق واحد، وهو المنع من التعمق، والاحتراز عن فتح القيل والقال...ومن ترك القيل والقال وجرب مثل تجربتي (2) علم أن الحق ما ذكرت".

"لأن من استطاع أن يفهم غيره بالأوضح الذي يفهمه الكثيرون، لا ينبغي له أن ينحط إلى الأغمض الذي لا يفهمه إلا الأقلون، وإلا كان ملغزاً"، ومن ثم أخرج تعالى في مخاطباته حاجات خلقه في أجلى صورة وأوضحها، ليفهم العامة ما يقنعهم أو يلزمهم الحجة (3) بسببه".

المطلب الثالث: التجديد في المنهج:

(1) انظر: اللقاني، عبد السلام. شرح جوهرة التوحيد، مصر، مطبعة السعادة، ط2، 1955م. ص114. وانظر:

البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكونية، دمشق، دار الفكر، 1997م، ص111

(2) الرازي، محمد بن عمر. المطالب العالمية من العلم الإلهي، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 1420هـ/1436

(3) الهيثمي، ابن حجر. المنح المكية في شرح الهمزية، تحقيق: بسام محمد بارود، المجتمع الثقافي، أبو ظبي،

ط1/1418، ج2، ص813

لا شك أن انشغال المدونات في عهدها المتأخر في عرضها للعقيدة من كونها طريقة حياة إلى كونها فكر وفلسفة كان له أثر في جفاف المعاني الندية. إذ غدا هذا العلم في مؤسساتنا التعليمية وأوساطنا العلمية لا يبعث على اطمئنان القلب وسكينة النفس وشفافية الروح. وفي هذه المعاني وغيرها ألف العلامة اليمني ابن الوزير كتابه القيم "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان".

وذلك أن الانشغال بالجدل والذهول عن العمل من أسباب الافتراق والمراء في الدين، ومن الواجب التركيز على الثوابت والجوامع، والالتفات الى القضايا العملية، وهذا يستلزم إحياء البحث في الأبعاد العملية للمبادئ العقدية، والتحول من المنهج الفلسفي الجدلي الى المنهج التطبيقي العملي ان رمنا النهوض الحضاري لامتنا من جديد. وهذا هو منهج القرآن الكريم فعندما سأل أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد أقریب ربنا فننادیه؟⁽¹⁾

وجههم القرآن الى الاستجابة والامتثال والعمل وانزل الله قوله "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون". البقرة: 186.

وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يلفت انتباه الصحابة الى ذلك فعندما سأله الأعرابي عن وقت وقوع الساعة لفت انتباهه الى أمر آخر فقال له: "وماذا أعددت لها".⁽²⁾

وهكذا درج الصدر الأول من جيل الإسلام في فجر الإسلام على التسليم دون خضوع في التفاصيل العملية منشغلين في الواجبات العملية. قال ابن عاشور: "كان السلف في القرن الأول ومنصف القرن الثاني بمسكون عن تأويل هذه المتشابهات لما

(1) انظر: الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمود واحمد شاکر، مصر، دار

المعارف، 480/3

(2) البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، ح رقم 6171

رأوا في ذلك الإمساك من مصلحة الاشتغال بإقامة الأعمال التي هي مُراد الشرع من الناس". (1)

العقيدة في القرآن تعرض من خلال القصة التي تعرض الواقع أو تحكي التاريخ، ومن خلال التشريعات التي تنظم الواقع وتضبط ايقاعاته، وتعالج مشكلاته وفق التصور الإسلامي، فهي بناء فكري وعقدي متكامل، وليس معلومات ونتف مجزئة دون منهج. فالأصل بالتوحيد ان يكون له رسالة اجتماعية وسياسية، وليس مجرد حشو معلومات ذات طابع تاريخي لا صلة لها بالواقع، ولكل زمن همومه ومشاكله وقضاياها. فلئن ركز علماء التوحيد في فترة زمنية ما على عبادة الأصنام وشرك القبور لشيوخ هذه الأمراض وتفتيشها، فالأولى بنا ان نركز على عبادة الأشخاص وشرك القصور، حتى لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، ومواجهة الذين ينكرون الذات الإلهية أولى من مجابهة الذين يُؤولون الصفات، ودراسة آراء العلمانيين والداثيين الذين يفتنون بها بعض المثقفين فضلا عن العوام، أولى من الرد على أموات الجهمية والمعتزلة، وحصر الدفاع عن العقيدة في التركيز على البدع الشركية التي ماتت ولم يُعد لها وجود فيه احياء لها من جهة، وامانة لتفاعل العقيدة مع واقع الناس من جهة ثانية، يقول العز بن عبد السلام: " من نزل بأرض تفتش فيها الزنا فحدث الناس عن الربا فقد خان الله ورسوله".

ومما يمكن أن نلاحظه ونلتفت اليه تحت باب التجديد في المنهج هو الانتقال من المنهجي الكلامي والفلسفي الى المنهج العلمي
إن أكثر الناس اليوم في منأى عن لغة الفلسفة والمنطق، وأصبحت العقلية المعاصرة أميل الى الأسلوب الذي يستخدم معطيات العلم واكتشافاته،
وقيمة الفلسفة اليونانية في أوروبا قد انتهت، وحلت محلها في هذا العصر الفلسفة المادية والاحادية، ان المنهج القديم لا ينفع شيئا في هذا العصر، بل إن الحياة

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ، ط1، 197/1، 2000.

العلمية المعاصرة تحتم ضرورة التحرر من المنهج الجدلي السجالي والاستعانة بالحقائق العلمية، والنظر الى العلوم المتعددة.

إن عقلية أبناء هذا الجيل قد أفتتنت بالعلم واكتشافاته، فينبغي أن نخاطب هذه العقلية بما يلامس شغاف قلبها، ويحرك سواكن عقلها. وقد اكتشف العلم الحديث الكثير من الخبايا والأسرار مما يعمق الإيمان ويجذره ويقيم بناءه على حُجج علمية وبراهين يقينية ثابتة، والله تعالى يقيم على دينه وكتابه شاهدي عدل، وهما آيات الآفاق والأنفس حين يقول: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ". (53: فصلت)

وإن هذه الآية قد جعلت آيات الآفاق والأنفس مصادر لمعرفة الحق، فكأن هذا القول يظهر شيئاً جديداً من أدلة أصول الدين.

فالذات الإلهية ترينا آياتها في أنفسنا وفي العالم الخارجي، ولغة العلم هذه مفيدة في إثبات العقيدة بالله واليوم الآخر، مفيدة في تثبيت العقيدة بما يجد كل يوم من اكتشافات، وهي من أعظم الوسائل التي تبين للناس "أنه الحق" مما يكون سبباً في دخول الناس في دين الله أفواجا " وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ". (88: ص)

فحدوث العالم مثلاً وانتهاء الحياة يمكن إثباته بنتائج علم الفيزياء الحديثة كالاعتماد على القانون الثاني للديناميكية الحرارية. (1)

إن المناهج الغربية علمانية كانت أو الحادية تعمل على توظيف المعارف والعلوم توظيفا يفصل بين الدين والحياة، وبين الخالق والمخلوق

وقد اتخذوا من بعض النظريات العلمية محاريب مقدسة، وترانيم مطربة، وقلاع مجابهة مع تعاليم الأديان. وصارت الثقة المفرطة بنتاج العلم سمة العصر الحديث والواجب يقتضي مجابتهم بنفس أسلحتهم فالعلم الصريح والنقل الصحيح لا يتعارضان، فالكون واسراره خلق الله، والقرآن واعجازه قول الله، لذا فالانسجام والتآلف

(1) انظر: سعيد، جودت. اقرأ وربك الأكرم، بيروت، دار الفكر، ط1، 1988م، ص222-223. وانظر: علم الكلام بين الأصالة والتجديد، الجامعة الأردنية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 5، العدد 3، 2009م، ص 249. وانظر: الله يتجلى في عصر العلم، ص6

هي سمة العلاقة بينهما، ومن الواجبات الضرورية على علماء الأمة وكتاب المناهج الدينية عوضاً عن الاعتماد الكامل على كتب علم الكلام تسخير هذه العلوم والمكتشفات، والربط بين القرآن وآيات الآفاق والأنفس في تعميق العقيدة في نفوس الطلبة وتأهيلهم لدور جديد في عرض الدين في إطار ما ظهر للإنسان من علم في هذا العصر وتوافق الدين مع الكثير من الحقائق العلمية التي تثبت في الآونة الأخيرة. فالمناهج التي تستنبت بذرة العقيدة الصافية في نفوس الطلبة ينبغي ألا تقتصر على درس التوحيد. يقول الأستاذ محمد قطب: "ومن أبواب التغيير حصّة العلوم، باب من أبواب استنبات الوجدان الديني، وقد تكون أجدى من درس الدين الرسمي لأنه حين يدرس المدرس المسلم درس الفيزياء، أو درس الكيمياء، أو درس الجغرافيا، أو أي درس من الدروس بروح إيمانية، فيربط في قلب الطفل بين المشاهدات التي يشاهدها وبين قدرة الله وفضله وعظمته، هذا هو الذي يحدث الوجدان الديني في نفس الناس أكثر من الدرس الرسمي للدين". (1)

المطلب الرابع: إحياء علم الكلام:

أقصد بالإحياء هنا بث الحياة ونفخ الروح وبعث شعاب الإيمان الساكنة في النفوس للوصول إلى اليقين القلبي والحرارة الإيمانية، واستعارة منهج الامام الغزالي في إحياء علوم الدين إلى علم العقيدة والكلام.

لقد أضحى علم العقيدة في كثير من مؤسساتنا التعليمية وأوساطنا العلمية في كثير من الأحيان، لا يبعث على اطمئنان القلب، وسكينة النفس، وشفافية الروح وتحولت من كونها طريقة حياة إلى طريقة فكر، واهتمت بما يملئ الرؤوس لا بما يملئ النفوس، فهي وإن علّمت العقل البرهان إلا أنها لم تعلم العين الدموع، ولم تعلم القلب الخشوع. والذي يقرأ في تلك المدونات فإنه يرى أنها لا تكاد تقوي عقيدة ولا تزيد إيمانا

(1) قطب، محمد. بحث مقدّم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي بمؤتمر قضايا الفكر المعاصر، ط2، 1987م،

لا تبعث في النفس خشية الله ودوام مراقبته، ولا تدفع إلى إخلاص في عبادة، ولا تُثني صاحبها حلاوة الإيمان، تخاطب العقل بالمنطق ولا تخاطب القلب بالشعور. (1)

وغدا هذا العلم بحثاً نظرياً، ينظم المقدمات ويستخلص النتائج، كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبيين، وكان من نتائج ذلك أن أبعد القلب من مجال المخاطبة بالعقيدة، بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسانية مع إيقاظه للقوى الذهنية. (2)

ويقول الشيخ الغزالي أيضاً: "وقد كنت أرقب -عن كذب- ما تُخلقه دروس التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقاً يُذكر -لدى السامعين- بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلاً. (3)

فمناهج ومقررات العقيدة في وضعها الحالي تعلّم الطالب مثلاً مسألة وجود الله، ونبرهن له على ذلك بالأدلة العقلية، لكن هذه الطريقة لا تعلمه كيف يحيا بالله والله كما كان يحيا السلف عليهم الرضوان يقول محمد إقبال: "المطلوب ليس هو العلم بالله أي بوجوده، وإنما الاتصال به، وتجديد الصلة به عن طريق توفير الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويسترد الحياة، فينتصر على الخمول والجمود والبطالة". (4) وحتى في مجال الدراسات الفقهية فإن منهجية تناولها في الغالب وقفت عند شكل الأحكام، وشكل العبادات والرسوم وغاب عنها الروح يقول الدكتور محمد عمارة: "عندما نرى تعريف السجود في كتب الفقه نجده تمريناً رياضياً كلمة السجود. أين البعد الروحي لها؟ هذا غائب. وعندما نقرأ عن موضوع الحج أو نرى الكتب التي تُوزع الحاج نجدها أقرب إلى الدليل السياحي الذي يصف الطرقات وغاب عنها روح

(1) انظر: العمري، محمد خير. علم الكلام بين الأصالة والتجديد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2009م، ص 244-245.

(2) الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، ص 28.

(3) الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، ص 28.

(4) إقبال، محمد. تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، 1986م.

المناسك، وكذلك عقد الزواج في القرآن الكريم هو عقد مودة ورحمة وسكن وميثاق غليظ، أصبح في الفقه عقد تملك بضع الزوجة، لا علاقة لها بروح الشريعة ومضامينها الجميلة الراقية".

المطلب الخامس: احياء المقاصد العقديّة:

المراد بالمقاصد العقدية الغايات والأهداف والمعاني المقصودة التي وضعت العقائد من أجل تحقيقها

عند دراسة العقائد فإننا نجد أنّ كتب العقائد قد خلت تقريباً من بُعدها المقاصدي وكأنّ العقائد ليس لها مقصدٌ أو غرض، حتى قال بعض الباحثين: أنّه ليس للعقيدة مقاصد وإنها مقصودةٌ لذاتها، وكأنّه ليس على المكلف إلا أن يعتقدّها ويعقد قلبه عليها، وإنّ أغلب كتب العقائد يغلب عليها قوالب المناظرة وأساليب المنطق، واقتصرت على ترتيب المعلومات النظرية وتعداد الواجب والمُحال في حقّ الله والملائكة والمرسلين وإحصاء سمعيات الغيب وتقرير الشروط اللازمة لصحة الشهادة، ولم تنظر إلى أثر العقيدة ومقاصد الإيمان في حياة الفرد وأحوال الجماعة ولم تبين مدى غورها في واقع الحياة والأحياء.

وغدت حقائق العقيدة تشبه إن تكون تصديقات ذهنية غايتها تتحصر في ذاتها، وقد أدى هذا إلى تضيق مفهوم العقيدة، فانفصلت فيه التصديقات القلبية بالألوهية، والنبوة، والبعث عن مقاصدها وأبعادها في الحياة الاجتماعية، وقد أدى هذا الوضع إلى ما يشبه الانفصال بين الاجتهادات الفرعية وبين مرجعيتها العقدية، وهذا الواقع يحتم على العلماء إحياء العقيدة في النفوس، وصياغة الأحكام السلوكية في إطار المبادئ العقدية، وهذا يستلزم إحياء البحث في الأبعاد المقصدية للمبادئ العقدية، فإن لكل من مجالات السلوك المختلفة أصولاً عقديّة، فالسلوك الاقتصادي مثلاً إطاره العقدي الإيمان بأن الملكية الحقيقية لكل شيء إنما هي لله، وأن الإنسان ما هو إلا مستخلف على ما بين يديه من مقدرات، وفي هذا الإطار ينبغي أن يتنزل سلوكه في المجال الاقتصادي. وأن السلوك الاجتماعي بمعناه العام إطاره العقدي الإيمان بكرامة الإنسان

وعلو قيمته بمقتضى إنسانيته... وإن هذه الأحكام إذا لم تكن ناشئة عن مرجعية عقيدة داخلها التعارض فباعت آثارها بالضرر على المسلمين⁽¹⁾ وهذا يقتضي إعادة قراءة المواضيع والقضايا العقدية في القرآن مراعين بعدها المقاصدي.

لقد عرضت الصفات في القرآن الكريم بطريقة لها حرارتها وحيويتها، بحيث تولّد في نفس المؤمن عظمة الله تعالى ومحبته وخشيته والإنابة إليه والتوكل عليه، وتصلح التصورات الفاسدة الموجودة لدى المشركين وأهل الكتاب ليعلم الجميع بأن الله على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، وأنه غفور رحيم، وأنه شديد العقاب، إلى غيرها من صفات الكمال.

فبدلاً من أن نبحث في القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ ننظر الى المقصد من إنزال القرآن فنقول: لقد أنزل الله تعالى القرآن لنعمل به ولنأتمر بأمره ولنقف عند نهيه، وبدلاً من البحث في علم الله، وهل هو بذاته أم بصفه زائدة عن الذات، نستحضر المقصد من هذه العقيدة ونقول: إذا كان الله يعلم عنا كل شيء من سرنا وجهرنا... فيجب أن نسلك في الحياة سلوكاً موافقاً لشرع ربنا حتى يعلم عنا ما منا.⁽²⁾

ومن الأخطاء في فهم الأسماء والصفات فصلها عن سياقها الذي وردت فيه وعرضها في سياق الجدل الكلامي من خلال شبهات الطوائف المنحرفة، فتوحيد الذات والصفات ليس توحيداً عن طريق إطلاق قضايا موجهة مثل "الله أعلم" أو سالبة "الله ليس جاهلاً" بل هو توحيد عملي عن طريق تحقيق الأسماء التسعة والتسعين في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية فالاعتقاد وظيفية سلوكية.⁽³⁾

(1) انظر: النجار، عبد المجيد. فقه التدين فهما وتنزيلا، الزيتونة للنشر والتوزيع، ط2، 1995، ص 195-197.

(2) انظر: الطنطاوي، علي. تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط 11، 1981، ص 94-95.

(3) انظر: حنفي، حسن. من العقيدة إلى الثورة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط 1، 1988م، 2/ 609 وانظر 1/ 65.

وقد انتبه الامام الغزالي الى ضمور هذا المقصد في زمانه، الأمر الذي دعاه الى بيان المقصد الأسنى من أسماء الله الحسنى، وبيان نصيب كل اسم من تلك الأسماء، وهذا هو منهج الصحابة الكرام في التعامل مع هذه النصوص فقد كانوا، رضي الله عنهم يتوجهون إلى معاني العملية دون الخوض في المعاني النظرية، فإذا سمعوا مثلاً حديث النزول مثلاً، لا يسألون عن معنى النزول⁽¹⁾ ولا عن كيفيته، بل يهرعون إلى تحقيق المقصد من هذا المعتقد وهو القيام، وإذا سمعوا أن الله تعالى بسط يده للتائب⁽²⁾ لم يسألوا عن ماهية يد الله ولا كيف بسطها، بل يبادون إلى التوبة، ويفهمون أن بابها مفتوح لم يغلق، وهكذا فقد درج الصدر الأول من جيل الإسلام في فجر الإسلام على التسليم دون خوض في التفاصيل العلمية، منشغلين في تحقيق المبتغى والقيام بالواجبات العملية وقد أشار الجويني إلى منهج الصحابة هذا بقوله: "وقد درج صحب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة."⁽³⁾

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز والتطواف السريع لمادة هذا البحث، فأعرض بإيجاز أهم النتائج وخلصتها:

1. واقع مقررات العقيدة غابت عبارة عن قضايا تجريدية بحتة، ومسائل لاهوتية لا صلة لها بالواقع ولا علاقة لها بالحياة والأحياء.

(1) قال صلى الله عليه وسلم : "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له" البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم 7494، مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث 1772.

(2) قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"، مسلم، كتاب التوبة، حديث رقم 6989.

(3) الجويني، أبو المعالي عبد الملك. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، تحقيق وتقديم: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978، ص 32-33.

وانظر في تفصيل هذا الأمر المقريزي، تقي الدين. **المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، القاهرة، 1324هـ، 4/ 180(-) وانظر: زاده، طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مطبعة السعادة، القاهرة، 1/ 262.

2. كثير من القضايا العقدية التي تدرسها مناهجنا التعليمية أفرزتها ظروف تاريخية لم يعد لها وجود وليس هناك حاجة لطرحها.
3. ضرورة تجاوز عصر الخلاف والمذهبية العقدية في عرض العقيدة من خلال الرجوع المباشر إلى محكمات الكتاب وقطعية السنّة النبوية.
4. لكل علم مقاصد، وقد عني العلماء في مقاصد الشريعة أكثر من عنايتهم بمقاصد العقيدة، وقد نبه البحث على ضرورة الاهتمام بتلك المقاصد.

المراجع

- ابن تيمية، احمد. **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابن محمد.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، تحقيق عبد السلام الشداوي، دار القلم، بيروت، ط4، 1981م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. **أليس الصبح بقريب**، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، ط2، 1988م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، بيروت، مؤسسة التاريخ، ط1، 2000.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، القاهرة، 1981 م.
- أبو المجد، أحمد كمال. **حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد**، دار الشروق، 1988م.
- إقبال، محمد. **تجديد الفكر الديني في الإسلام**، ترجمة عباس محمود، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1986م.
- البدوي، د. إبراهيم. **علم الكلام الجديد نشأته وتطوره**، ط1، بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009م.
- بو خالفة، مصطفى. **هوية علم الكلام الجديد بين مقام التعريف والتحقيق**، مجلة الاستيعاب، المدرسة الوطنية العليا للأساتذة - بوزريعة/ الجزائر، العدد: 6 سبتمبر 2020م.
- البوطي، محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، دمشق، دار الفكر، 1997م.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر. **شرح المقاصد في علم الكلام**، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصاحح، تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، تحقيق وتقديم: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978.
- حنفي، حسن. **من العقيدة إلى الثورة**، دار التوزيع للطباعة والنشر، بيروت ط 1، 1988م.

- الخربوتي، عبد اللطيف. تنقيح الكلام في عقائد أهل الإسلام، وقف ديانة تركية فرع العزيز، 200م
- الرازي، محمد بن عمر. المطالب العالمية من العلم الإلهي، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- الرفاعي، عبد الجبار. علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014 م.
- انظر: السيوطي، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- زاده، طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مطبعة السعادة، القاهرة.
- الزرقاء، مصطفى. الإسلام وتطور المجتمعات، مجلة كلية الشريعة الجامعة الأردنية، عدد (١)، ١٩٧٢م.
- سعيد، جودت. اقرأ وربك الأكرم، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1988م.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمود واحمد شاكِر، مصر، دار المعارف.
- الطنطاوي، علي. تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط 11، 1981.
- الطنطاوي، علي. فصول إسلامية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط 5، 2004 م.
- عبد الحميد، محسن. العلوم الإسلامية وحياتنا المعاصرة في العقائد الإسلامية والتفسير، ضمن مؤتمر علوم الشريعة.
- عبد الحميد، محسن. العلوم الإسلامية وحياتنا المعاصرة: العقائد الإسلامية والتفسير، بحث ضمن مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات.
- العمري، محمد خير. علم الكلام بين الأصالة والتجديد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 5، العدد 3 أ، 2009م.
- الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، دمشق، دار القلم، ط 12، 2012م.
- فودة، سعيد. تأصيل الأدلة الكلامية دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1978 م.

- القرافي، أحمد. أنوار البروق في أنواء الفروق المشهور بـ "الفروق"، عالم الكتب، بيروت.
- قرامللي، د. أحمد. الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة: حيدر نجف، ط1، دار الهادي، بيروت، 2002م.
- القرضاوي، يوسف، رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، مصر، مكتبة وهبة، ط1، 1984.
- قطب، محمد. بحث مقدم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي بمؤتمر قضايا الفكر المعاصر، ط2، 1987م.
- اللقاني، عبد السلام. شرح جوهرة التوحيد، مصر، مطبعة السعادة، ط2، 1955م.
- المقرئزي، تقي الدين. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، 1324هـ.
- المناوي، عبد الرؤوف. (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- المودودي، أبو الأعلى. موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، مؤسسة الرسالة، 1975م.
- النجار، عبد المجيد. فقه التدين فهما وتنزيلا، الزيتونة للنشر والتوزيع، ط2، 1995.
- النعماني، شبلي. علم الكلام الجديد، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، القاهرة، المركز الوطني للترجمة، ط1، 2012م.
- الهيثمي، ابن حجر. المنح المكية في شرح الهمزية، تحقيق: بسام محمد بارود، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1/1418.